فضائل وخيرات وتنزّل الرّحمات وكثرة البركات بسبب الإكثار من الصّدقات

2021-08-27

الحمد لله الذي يَجزي المتصدِّقين، ويُخلِف على المنفقين، ويحب المحسنين، ولا يُضيع أجر المؤمنين، فسبحانه من إله جَعَلَ التَّقَرُّبَ إِلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ سَبَبًا لِرِضَاهُ، وَإِذَا رَضِيَ عَنِ الْعَبْدِ أَعْطَاهُ، وَعَطَاؤُهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنْقَطِعُ؛ لِأَنَّهُ دَائِمٌ لَا يَفُوتُ، وَحَيٌّ لَا يَمُوتُ ((مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)). وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ وهو الرب العظيم، والإله الرحيم، الجواد المحسن الكريم، يَرْفَعُ وَيَضَعُ، وَيُعِزُّ وَيُذِلَّ، وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ، وَيَقْبِضُ وَيَبْسُطُ. خزائنه مَلأَى، ويَدُه سَحَّاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهار لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، أفرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ ينقص ممّا عنده شيئاً، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، فاسألوه من فضله، فإنه يَغفر الذنب، ويَقبل التَّوْب، ويُزحزح عن النار، ويُورث الجنّة، ويُحلّ الرضوان، وما كان عطاءُ ربِّك محظوراً. وأشهد أنّ سيِّدَنا محمداً عبده ورسوله. النبيّ الأمين، والرسول الكريم، كان أجود الناس، وأكرم الناس، فكان أجود بالخير من الريح المُرسَلة، حَثَّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَرَغَّبَ فِيهَا، وَأَخْبَرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُنَمِّيهَا، وَكَانَ يُنْفِقُ مَا عِنْدَهُ، وَلَا يَدَّخِرُ شَيْئًا لِنَفْسِهِ وَأَهْلِهِ، وما سُئِلَ شيئاً قطّ فقال لا؛ بل كان يقول:((أنفِقْ بلالاً ولا تَخشَ من ذي العرش إقلالاً)).

هذا محمّدُنا للحقّ أرشَدَنا * ومِنْ بحار الرَّدَى والهُلْكِ أَنقذنا

هذا الذي جاء بالحقّ الْمُبِينِ لنا * وأذهب الشِّرْك بالآيات والحُجَجِ

صلّوا على المصطفى ذي الْمَنْظَرِ البَهجِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. الجامع لأشتات المحاسن ومكارم الأخلاق. وعلى آله المنتخبين من أطيب العناصر ونفائس الأعراق. وصحابته الذين كانوا في المسارعة إلى الخيرات من السبّاق، فكانوا ينفقون ممّا يحبّون، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ توكّلا على الملك الرزّاق. صلاة تنفّس بها عنّا الخناق. وتفتح لنا بها الأغلاق. وتدرّ بها علينا سحائب الأرزاق. وتكفينا بها نكبات الدهر وشرّ الإملاق. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. الحَيَاةُ أَخذٌ وَعَطَاءٌ، وَيَدٌ تَمُدُّ وَأُخرَى تَقبِضُ، وَقُلُوبٌ تَهَبُ وَأَعيُنٌ تَتَرَقَّبُ، وَمُوسِرُونَ يُنفِقُونَ وَمُقِلُّونَ يَنتَظِرُونَ، وَقَد جَعَلَ اللهُ النَّاسَ عَلَى قِسمَينِ: قِسمٌ يَجِدُ في العَطَاءِ لَذَّتَهُ، وَيَرَى البَذلَ مُنتَهَى سَعَادَتِهِ، وَآخَرُ لا يَعرِفُ إِلاَّ الأَخذَ وَالاستِعطَاءَ، وَلا يُحسِنُ إِلاَّ السُّؤَالَ وَالاستِجدَاءَ، وَيَأبى اللهُ لِمَن أَحَبَّهُم مِنَ المُؤمِنِينَ وَاصطَفَاهُم مِن عِبَادِهِ الموَفَّقِينَ إِلاَّ أَن يَكُونُوا إِلى الخَيرِ سَابِقِينَ. وَفي العَطَاءِ مُتَنَافِسِينَ، روى الحاكم النيسابوري في مستدرَكه على الصحيحين عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:((إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ. وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا)). وَفي صَحِيحِ مُسلِمٍ قال: حَدَّثَنَا شَدَّادٌ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ. وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ. وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ. وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ. وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى)). وَفي الصَّحِيحَينِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَذَكَرَ الصَّدَقَةَ وَالتَّعَفُّفَ وَالْمَسْأَلَةَ:((الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى. فَالْيَدُ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ. وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ)). أيّها المسلمون. فالبَذْلُ والعَطاءُ، والجودُ والسَّخاءُ. صِفاتٌ يُمْتَدَحُ بها كَرَائِمُ الرجال، قد كانت العربُ في جاهليّتِها تُفاخِرُ فيها، وتُثْنِي عليها، وتَتَنافسُ في التَّحلّي بها. ثم جاءَ الإسلامُ فحضَّ على النفقةِ والصدقةِ، وأثنى عليها، ووعدَ أهلَها الأجرَ المُضَاعفَ، والجزاءَ

المُخْلَف. وهذه حقائقَ قرآنيةً ربانيةً طالما غفلنا عنها، تقول لنا صراحة كما في سورة سبأ:((وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ))، وتخاطبنا بوضوح كما في سورة البقرة:((وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ)). وتَعِدُنا وعداً مؤكَّداً كما في سورة البقرة:((مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً)). لذا يجب أن نتعرّف على نعمة الله علينا، وألا ننكر هذه النعم، ولنتذكّر حال المشركين الذين قال الله فيهم كما في سورة النحل:((يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ)). وعلينا أن نشكر هذه النعمة وأن نقيّدها، ولا يكون قَيْدها إلا بشكر الله، وقد تعهّد الله بالزيادة لمن شكر فقال في سورة إبراهيم:((وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)). وأن نؤدّي الحقوق التي علينا، وأن نعلم أنّ ما ننفقه منها، وما نقدّمه منها لن يضيع، وإنّما هو محسوب مكتوب نجده يوم القيامة. قال تعالى في سورة آل عمران:((يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا)). أيّها المسلمون. لَقَدْ كَانَ سَلَفُنَا الصَّالِحُ رضي الله عنهم يَتَسَابَقُونَ في الإِنْفَاقِ، وَفي كَثْرَةِ الصَّدَقَاتِ، تَحْقِيقًا لِقَوْلِهِ تعالى كما في سورة البقرة:((مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً)). كَانُوا يَتَسَابَقُونَ في الإِنْفَاقِ خَشْيَةَ الشُّحِّ الذي يُهْلِكُ العِبَادَ وَالبِلَادَ، وَذَلِكَ لِما رواه الإمام مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:((وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ)). كَانُوا يَتَسَابَقُونَ في الإِنْفَاقِ حَتَّى يَصِلُوا إلى مَرْتَبَةِ الإحْسَانِ، وَلِيَتَشَرَّفُوا بِالانْدِرَاجِ تَحْتَ قَوْلِهِ تعالى كما في سورة الذاريات:((إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)). أيّها المسلمون. إِنَّ الصَّدَقَاتِ الزَّائِدَةَ عَنِ الزَّكَاةِ سَبَبٌ لَتَنَزُّلِ الرَّحَمَاتِ مِنَ اللهِ تعالى، روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ. لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ. فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ)). أيّها المسلمون. فَكَمْ مِنْ نَفَقَةٍ قَلِيلَةٍ أَعقبَهَا رِزقٌ وَافِرٌ، وَكَمْ لِلصَّدَقَةِ مِنْ فَضْلٍ، وَكَمْ جَلَبَتْ مِنْ نِعَمٍ. وَدَفَعَتْ مِنْ نِقَمٍ، وَتَسَبَّبَتْ فِي دَعْوَةٍ مُستَجَابَةٍ مِنْ قُلُوبٍ صَادِقَةٍ، قال تعالى في سورة البقرة:((وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ)). وَهَكَذَا يَستَعْمِلُ القُرآنُ الكَرِيمُ وَالسُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ أَسَالِيبَ التَّرْغِيبِ فِي أَمْرٍ فِيهِ مِنَ المَصلَحَةِ الإجتِمَاعِيَّـةِ مَا لاَ يَخْفَى. والصدقة طهرة للبدن. وزكاة للنفوس. تؤلّف بين القلوب. وتجمع الشتات. فالقليل من المال يطفئ حر القبر. فقد أخرج الطبراني والبيهقي في شعب الإيمان عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ عَنْ أَهْلِهَا حَرَّ الْقُبُورِ. وَإِنَّمَا يَسْتَظِلُّ الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ)). وإنّ الصدقة لتطفئ لهب المعصية. فإنّ لكل معصية لهبًا، روى التِّرمذيُّ عن معاذِ بنِ جَبَلٍ رَضِي اللهُ عَنْهُ، قالَ: قَالَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ))، وَكَمْ مِنْ صَدَقَةٍ مُبَارَكَةٍ رَفَعَتْ مِنَ الشُّرُورِ وَالمَغَارِمِ مَا لا يَعلَمُهُ إِلاَّ اللهُ، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:((تَصَدَّقُوا؛ فَإِنَّ الصَّدَقَةَ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ وَمِيتَةَ السُّوءِ))، واليسيرُ منَ البذلِ يستُر منَ النار، ففي صحيح البخاري قَالَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((يَا عَائِشَةُ، اسْتَتِرِي مِنَ النَّارِ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ))، أيّها

المسلمون. والصدقة دليل على صِدق إيمان العبد. ولذلك قال صلى الله عليه وسلم:((وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ)). فهي برهان على إيمان العبد، لأنّ النّفس مجبولة على حبّ المال، قال تعالى في سورة الفجر:((وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا)). فإذا تغلّب المسلم على نفسه، وأنفق في سبيل الله، كان ذلك برهان على أنّه يقدّم مرضاة الله تعالى على شهوات نفسه، قال تعالى في سورة التغابن:((وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)). قال الحسن البصري رحمه الله:((إذا أردتَ أن تَعلم مِن أين أصاب الرجل مالَه فانظر فيما أنفقه، فإنّ الخبيث يُنفَق في السَّرَف)). والحقّ تبارك وتعالى يقول في سورة الحديد:((ءامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ)). فقرن سبحانه في هذه الآية الكريمة بين الإيمان به وبرسوله. وبين الإنفاق في سبيله، هذا الإنفاق الذي لا يقدر عليه إلاّ المتّقون، ولا يوفَّق إليه إلاّ الفائزون السابقون، ولا يُحرَم منه إلاّ الأشقياء والمخذولون، يقول سبحانه في سورة البقرة:((الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاة وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)). ويقول جلّ وعلا في سورة الأنفال:((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ)). أيّها المسلمون. والإنسان المخلِص الصادق يعلم أنّ الله امتحنه بما جعل تحت يده، وأنّ عليه أن يقوم لله بالحق الذي فيه، فإنّ لله حقًّا في هذا المال، وهذا الحق لا بدّ أنْ يعرفه الإنسان في ماله، وأنْ يؤدّيه، قال الله تعالى في سورة المعارج:((وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)). أيْ يقدّرونه في أنفسهم، ويعلمون الحق الذي عليهم؛ فلذلك يقوم الأغنياء بمسئوليّتهم اتّجاه الفقراء، ولا يُعْفَى الفقراء أيضاً من الإنفاق، بل الإنفاق خطاب عامّ يستوي فيه الغني والفقير، الجميع مخاطَب، لكن كلٌّ يُنْفِق على حَسَب طاقته، فالله عزّ وجلّ يقول في سورة الطلاق:((لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ

وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا)). وقد بيّن سيّدنا أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح: أنّ الفقراء القرّاء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يذهبون إلى الجبل فيحتطبون، فيبيعون الحطب، فيتصدّقون بثمنه على الفقراء، وكانوا يقومون الليل، ويعلّمون الناس القرآن، فيأخذ أحدهم حَبْله في الصباح ويذهب إلى الجبل، فيأتي بالحطب، فيبيعه، فينفق به على أسرة فقيرة، فيكون قد زكّى نفسه وماله. أيْ زكّى نفسه بإعمالها في مرضات الله، وتحرّكها في عمل الخير، والنفوس التي لا تتحرّك ستبقى جامدة، ويركبها الشيطان عند ذلك، لكن الحركة في الخير بركة؛ وقد قليل: (نفسك إن لم تُشغِلها بالخير شَغلتْك بالشر). أيّها المسلمون. وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَحْتَقِرُ قَلِيلَ الصَّدَقَةِ فَلَا يَبْذُلُهُ، فَيَسْتَحْيِي أَنْ يَمُدَّ لِلْفَقِيرِ درهمًا، وَيَخْجَلُ أَنْ يُقَدِّمَ شَيْئًا مِنْ طَعَامٍ، أَوْ قِطْعَةً مِنْ لِبَاسٍ أَوْ أَثَاثٍ. وَكَمْ مَنَعَ قِلَّةُ مَا بِيَدِ الْوَاحِدِ مِنَ الْإِنْفَاقِ. وَكَمْ مِنْ عَازِمٍ عَلَى الصَّدَقَةِ نَظَرَ فِي مِحْفَظَتِهِ فَلَمْ يَجِدْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْ مَالٍ فَأَحْجَمَ عَنِ الصَّدَقَةِ، وَكَمْ بَقِيَ لِلْوَاحِدِ مِنْ غَدَائِهِ وَعَشَائِهِ فَاسْتَقَلَّ أَنْ يُطْعِمَ بِهِ أَحَدًا. مَعَ أَنَّ اللُّقْمَةَ الْوَاحِدَةَ تَكْسِرُ حِدَّةَ الْجُوعِ، وَقَدْ عَدَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِهِ لِلصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّ مِنَ الصَّدَقَةِ اللُّقْمَةَ وَاللُّقْمَتَيْنِ، وَالتَّمْرَةَ وَالتَّمْرَتَيْنِ. بَلْ عَدَّ صلوات ربي وسلامه عليه مَا هُوَ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ فِي حَدِيثٍ عَظِيمٍ يُبَيِّنُ أَهَمِّيَّةَ الصَّدَقَةِ، وَأَنَّهَا سَبَبٌ لِلنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ وَلَوْ كَانَتْ قَلِيلَةً، فَفِي حَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي رَوَاهُ الشَّيْخَانِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:((اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ))، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ((مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَتِرَ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَلْيَفْعَلْ)). وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((لِيَتَّقِ أَحَدُكُمْ وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)). وَفِي حَدِيثِ السيّدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، الذي رَوَاهُ أَحْمَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا:((يَا عَائِشَةُ، اسْتَتِرِي مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنَّهَا تَسُدُّ

مِنَ الْجَائِعِ مَسَدَّهَا مِنَ الشَّبْعَانِ)). وَلِحَدِيثِ التَّصَدُّقِ بِشِقِّ التَّمْرَةِ مُنَاسَبَةٌ مُهِمَّةٌ؛ وَهِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ أَنَّ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُحَاصَرٌ بِعَمَلِهِ، وَالنَّارُ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فقد رَوَى الشَّيْخَانِ عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)). فَلْنَتَأَمَّلْ هَذَا الْمَوْقِفَ الْعَظِيمَ الْمُخِيفَ الَّذِي تُنْجِي فِيهِ الصَّدَقَةُ مِنَ النَّارِ، وَلَوْ كَانَتْ صَدَقَةً قَلِيلَةً كَشِقِّ تَمْرَةٍ. أيّها المسلمون. لقد فاز وسعد من قدّم لآخرته من دنياه. وأنفق في كل أمر يحبّه ويرتضيه مولاه. ولقد خاب وخسر من بخل بها وطلب منها الإزدياد. وهو يعلم أنّه عن قريب يرحل عنها فيخلّفها وراء ظهره ويقدم على الله بلا زاد. فينتفع بها غيره ويحاسب هو عليها يوم المعاد. أخرج الإمام مسلم وغيره عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((يَقُول الْعَبْد مَالِي مَالِي. وَإِنَّمَا لَهُ مِنْ مَاله ثَلَاث: مَا أَكَلَ فَأَفْنَى. أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى. أَوْ تَصَدَّقَ فَأَمْضَى. وَمَا سِوَى فَذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ)). وأخرج الترمذي أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((يُجَاءُ بابنِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ. كَأَنّهُ بَذَجٌ. فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيْ الله تَعَالَى. فَيَقُولُ الله: أَعْطَيْتُكَ، وَخَوّلتُكَ، وَأَنْعَمْتُ عَلَيْكَ. فَمَاذَا صَنَعْتَ؟ فَيَقُولُ: جَمَعْتُهُ، وَثَمّرْتُهُ، وَتَرَكْتُهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ. فارْجِعْنِي آتِكِ بِهِ كُلّهِ. فَيَقُولُ لَهُ: أَرِنِي مَا قَدّمْتَ. فَيَقُولُ: يَا رَبّ جَمَعْتُهُ. وَثمّرْتُهُ. فَتَرَكْتُهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ. فارجِعْنِي آتِكِ بِهِ كُلّهِ. فَإِذَا عَبْدٌ لَمْ يُقَدّمْ خَيْراً. فَيُمْضَى بِهِ إِلَى النّارِ)). فاحذروا رحمكم الله. هذا الوعيد العظيم. وتصدّقوا. لتنالوا الأجر الوافر والخير العميم. ولا يغلبنّكم الشيطان عن إخراجها فإنّه لكم شديد العداوة والبغضاء. كما قال تعالى في سورة البقرة:((الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ)). فخالفوه عباد الله فيما يريد. واعلموا أنّه ما نقص مال من صدقة بل يزيد. فإنّ الله تعالى يقول في كتابه المبين:((وَمَا أَنفَقْتُمْ مّن شَيْء فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ)). ويقول سبحانه في سورة البقرة:((وَمَا

تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ)). وأخرج الإمام أحمد ومسلم والنسائي أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ)). وأخرج مسلم وابن أبي الدنيا واللفظ له أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((الصدقة لا تزيد المال إلاّ كثرة)). أيّها المسلمون. أيّها المسلم، أنظر إلى المستحقّين للصّدقات. فابحث عنهم. المتعفّفين عن سؤال النّاس، الذين وصفهم الله تعالى بقوله في سورة البقرة:((يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لاَ يَسْئَلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا)). وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنّه قال:((ليس المسكينُ الذي تردّه اللّقمة واللقمتان، إنّما المسكين الذي لا يسأل الناس، ولا يُفْطَن له فيتصدَّق عليه)). وَيبلُغُ الأَدَبُ غَايتَهُ حِينَ يَعْلَمُ المُتصدِّقُ أَنَّ مَا يُقَدِّمُهُ حَقٌّ لِهَؤَلاءِ سَاقَهُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، فَلا يُرِيدُ مِنهُم جَزَاءً ولا شُكُورًا، فَيجِبُ عَلَى المُنفِقُ ألاّ يَمُنَّ وَلا يُؤذِ مَنْ أَعْطَاهُم، لأَنَّ المُنفِقَ مَا أَعطَى الفَقِيرَ إِلا حَقَّهُ، فَلاَ مِنّةَ لَهُ عَليهِ، وَإِنَّمَا يَشكرُهُ الفَقِيرُ لأِنهُ سَبَبٌ فِيمَا سَاقَهُ اللهُ إِليهِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى في سورة:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى)). فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَلْتَكُنِ النُّفُوسُ سَخِيَّةً، والأيْدِي بِالخيرِ نَدِيَّةً، وَمَنْ بَذَلَ اليَومَ قَليلاً جَنَاهُ غَدًا كَثِيرًا، تِجَارَةٌ مَع اللهِ رَابِحَةٌ، وَقَرْضٌ للهِ حَسنٌ مَردُودٌ إليهِ أضْعَافًا مُضَاعَفةً، قَالَ تَعَالَى في سورة البقرة:((الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)). ولنكثِ من الصدقات قَبْلَ أَنْ يَتَحَسَّر أَحَدُنَا عَلَى الصَّدَقَةِ، حَيْثُ لَا تَنْفَعُ الحَسْرَةُ، وَاحْفَظُوا قَوْلَ اللهِ تعالى كما في سورة المنافقون:((وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)). وعِنْدَ سَكَرَاتِ المَوْتِ تَنْجَلِي الحَقِيقَةُ التي نَسِينَاهَا أَو تَنَاسَيْنَاهَا، نَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلى أَجْرِ الصَّدَقَةِ أَكْثَرَ مِنْ حَاجَةِ الفَقِيرِ إِلى صَدَقَتِنَا، لِأَنَّ هَذَا العَبْدَ الذي قَالَ عِنْدَ سَكَرَاتِ المَوْتِ:((رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ

قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ)). وَاللهِ مَا قَالَهَا رَحْمَةً بِالفُقَرَاءِ، بَلْ قَالَهَا رَحْمَةً بِنَفْسِهِ تَحَسُّراً عَلَى مَا قَصَّرَ فِي حَقِّ الفَقِير وَمَا فَوَّتَ عَلى نَفْسِهِ مِنَ الأَجْرِ. اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنَا مِنَ النَّادِمِينَ. اللهم اجعلنا ممّن قالوا: سمعنا وأطعنا، ووفّقنا لما يرضيك عنّا، وتوفّنا وأنت راض عنّا، اللهمّ لا تجعل الدنيا أكبر همّنا. ولا مبلغ علمنا. واجعل الحياة زيادة لنا في كلّ خير. والموت راحة لنا من كلّ شرّ. وتوفّنا وأنت راض عنّا. اللهمَّ اجعَلنا من المحسنين لعبادك، المُخلصين لوجهك، اللهمَّ اجعَلنا من مفاتيح الخير، ومغاليق الشر، يا كريم يا رحمن. اللهم إنا نسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخِر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اهـ